

فضيلة الاستقامة وثمرتها



◀ تصدير الموضوع:

قال تعالى: (فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُمْ قَوْلَ نَبِيِّ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ لَا يَمُرُّونَ إِلَّا عَلَيْهِمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (هود/ 112).

يعتبر مبدأ الاستقامة من أهمّ المبادئ المحوريّة في الشخصية الإيمانية التي يتمحور حولها الكثير من الصفات والفضائل ومكارم الأخلاق، وبفقدانها يفقد المؤمن أهم ركائز الإيمان وأركانه، ويكفي في ذلك قول رسول الله (ص): "شيبّني آية في سورة هود"، حين أمره الله بالاستقامة واستقامة من معه فقال تعالى: (فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُمْ قَوْلَ نَبِيِّ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ لَا يَمُرُّونَ إِلَّا عَلَيْهِمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (هود/ 112)، وقال: (فَلْيَذَلِّكَ فَادْعُهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُمْ قَوْلَ نَبِيِّ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ لَا يَمُرُّونَ إِلَّا عَلَيْهِمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الشورى/ 15)، بل قد أمر الله تعالى بها أيضاً أنبياءه، فقال في حقّ موسى وأخيه (ع): (قَدْ أَجْبَدْتَ دَعْوَتَهُمْ تُكْمِلُوا فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُمْ قَوْلَ نَبِيِّ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ لَا يَمُرُّونَ إِلَّا عَلَيْهِمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (يونس/ 89)، وعدد الجنوح في سلوكهم عن هذا المبدأ ظلماً وطغياناً.

فضيلة الاستقامة:

عن الإمام عليّ (ع): "لا مسلك أسلم من الاستقامة، لا سبيل أشرف من الاستقامة".

وعنه (ع): "اعلموا أنّ الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلوّن، فلا تزولوا عن الحقّ، وولاية أهل الحقّ، فإنّ من استبدل بنا هلك".

والمتلوّن هو العبد الذي لا يتّخذ موقفاً مبدئياً من الأحداث والوقائع، بل يتلوّن وفق المصلحة والطمع ومنفعته الخاصّة، ويساير على حساب الرسالة والقيم والمبادئ.

عن عليّ (ع) في شرح قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...) (فصلت/ 30)، وقد قلتم: "ربُّنا" أي فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا تتركوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها".

وكانَّ الاستقامة تستلزم ثلاثة أمور وهي: عدم الانحراف عنها، وعدم إلصاق أمور بالشرعية وهي ليست منها، وعدم المخالفة فيما أمر الله تعالى ونهى عنه.

وعنه (ع): "كيف يستقيم من لم يستقم دينه"؟!

عن رسول الله (ص): "لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتتم حتى تكونوا كالأوتار ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا الاستقامة".

ثمرة الاستقامة:

والحديث عن الاستقامة حديثٌ عن ملكة تلازم أفعال أهل الإيمان، وعن مقامٍ روحيٍّ لا ينحدر عنه مهما قست العروض والتحدّيات، فهي ليست فعلاً عابراً أو موقفاً في حادثة أو لحظة تجلٍّ وتجرّد مع الله، بل هي استقامة دائمة بدوام الحياة واستمرار العمل والمواجهة مع أئمة الكفر والضلال، ومن هنا فإنَّ قيمة رسول الله (ص) وأئمة الهدى تكمن في ثباتهم على هذا المبدأ وعدم تزلزلهم أو ضعفهم أو صدور ما ينافي الاستقامة في كافّة أعمالهم ومواقفهم وسلوكيّاتهم، رغم أنواع الابتلاءات والمحن والعذابات التي تعرّضوا لها، وما زال أتباعهم يتعرّضون لها اليوم على مساحة العالم كلّها.

1- وفرة الخيرات: بمعنى توفّر النعم المادية لعموم الخلق، قال تعالى: (وَأَلِّسُوا اسْتَغْنَامُوا عَلَى الطَّارِقَةِ لِاسْقَائِنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) (الجن/ 16).

2- الأمان يوم القيامة: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الأحقاف/ 13). والتعبير بعدم الخوف والحزن من أهم بركات يوم الفرع الأكبر.

3- البشرى بالجنة: وهذا منتهى الفوز بالوعد الإلهي للذين آمنوا واستقاموا، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت/ 30).

وعن الإمام عليّ (ع): "مَن استقام فإلى الجنة، ومَن زلَّ فإلى النار".

4- الفلاح: وهو نفس معنى البشرى بالجنة، فعن رسول الله (ص): "إن تستقيموا تفلحوا".

5- السلامة: أي أنَّ الاستقامة ملاذ المؤمنين من التعرّض والوقوع في الأخطاء، فعن الإمام عليّ (ع): "من لزم الاستقامة لزمته السلامة".

6- الكرامة في الدنيا والآخرة: عن الإمام عليّ (ع): "عليك بمنهج الاستقامة فإنَّه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة".

7- السعادة: عن الإمام عليّ (ع): "أفضل السعادة استقامة الدين". ►

